﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [غافر: 62]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

اللهُ خالقُ السّماوات والأرض ورازقُ الطّيّبات

ذكَرَ في الآية السّابقة بعضَ ما أنعم الله على النّاس، بأنْ جعَلَ لهم اللّيل سكنًا، وجعل النّهار مضيئًا مبصرًا ليسعى الإنسان في الأرض ويبتغيَ من فضل الله، وجاءت هذه الآيةُ لتُقرِّرَ أن الَّذي خلَقَ هذه النّعم لكم هو الله ربُّكم وخالقكم، وهو الَّذي خلَقَ كلَّ شيء في هذا الوجود، فلا يعقل بعد ذلك الكفرُ به سبحانه والجحود والتّكبّر على عبادته سبحانه، فدلّ على نفسِهِ في هذه الآية فقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الَّذي خلق الأرض والسّماء وأحسنَ الخلق ورزَقَ الطّيّبات[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُؤْفَكُونَ﴾: (أفك) أصل واحد، يدلّ على قلب الشّيء وصرفه عن جهته. والإفك: أشدُّ الكذب؛ لأنّه كلامٌ قُلِبَ عن الحقّ. وهو: كلُّ مصروفٍ عن وجهِهِ الَّذي يَحِقُّ أن يكونَ عليه. ومنه قيل لمدائن قوم لوط: (المُؤْتَفِكات)، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾﴾ [الحاقّة: 9]؛ لانقلابها. ومنه قول الله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام: 95]؛ أي: من أين تحرمون وتصرفون عن الحقّ[2]؟.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذلكم الذّى أعطاكم من النِّعم ما أعطاكم هو الله تعالى، ربُّكم

(1) مقاتل، تفسير مقاتل: 3/ 719.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (افك)، وابن قتيبة، غريب القرآن: 1/ 32، والراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (أفك).

خالقُ كلّ شيءٍ في هذا الوجود؛ لا إله إلّا هو الواحدُ الأحد الَّذي يستحقُّ منكم العبادة. ومن العجيب الانصرافُ بعد هذه النّعم والبيّنات العظيمة عن الحقّ إلى الباطل، وعن الشّكران إلى الكفران؛ فكيف تنقلبون عن عبادته سبحانه إلى عبادة غيره، مع أنّه تعالى هو الخالق لكلِّ شيء، ومنه أتَتْ تلك النّعم الَّتي تتمتّعون بها[1]؟.

التّعجيبُ من انصراف البشر عن عبادة الله بعدما علموا مِن نِعَمِهِ العظيمة

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ فصل الآية عن سابقتها:

اتَّصَلَ الكلام على دلائل التَّفرُّدِ بالإلهيَّةِ من قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ إلى قوله: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ اتِّصالَ الأدلَّةِ بالمُستدَلِّ عليه[2]. فالجملةُ الخبريّةُ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ هي بمثابةِ تأكيدٍ للجملةِ السّابقة، وهذا ما اقتضى الفصلَ باعتبار ما يسمّيه البلاغيّون كمالَ الاتِّصال بين الجملتين.

اتِّصالُ الأدلَّةِ بالمُستدَلِّ عليه

سرُّ التَّعبيرِ باسم الإشارة ﴿ذَٰلِكُمُ﴾:

الإشارةُ بـ ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الدّالِّ على البعيد في قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ يدلُّ على التّعظيم. فـ" القولُ مُعظَّمٌ بأداة البُعد وميم الجمع ﴿ذَٰلِكُمُ﴾؛ أي: أيُّها المخاطبون، الواحدُ القهّار العظيمُ الشّأنِ الَّذي عُلِمَ بما ذُكِرَ من أفعاله أنَّه لا يشاركُه أحدٌ"[3]. وفي اسم الإشارة هذا تعريضٌ بغباوة المخاطبين المُعاندين الرّافضين للإيمان بالله وحده. فقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾؛ أي: المعلومُ المتميِّزُ بالأفعال الخاصَّة الَّتي لا يشاركه فيها أحدٌ هو ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾[4].

في الإشارةِ تعظيمٌ ودلالةٌ بلاغيَّةٌ على التّفرُّدِ الإلهيّ

وجهُ العدولِ عن الضّمير إلى اسم الجلالة:

قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ عدَلَ فيه عن الضّمير إلى اسم

(1) طنطاوي، الوسيط: 1/ 3714.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 187.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 17/ 102.
(4) الزّمخشريّ، الكشاف: 4/ 176.

الإشارةِ؛ لإفادة أنّه تعالى الملكُ الأعظم المعلومُ لكلِّ أحدٍ، المتميِّزُ عن كلّ شيءٍ بالأفعال، المتفرِّد بها، فلا يشاركُه أحد؛ بحيث إذا ذُكرت أفعالُه تميّز عمّا سواه، فصار كالمُشاهَدِ المُشار إليه، فكيف تلتبس ألوهيَّته بألوهيَّةٍ مزعومةٍ للأصنام؟ فليست للَّذين أشركوا به شبهةٌ تُلبِسُ عليهم ما لا يَفعَلُ مثلَ فعلِه[1].

تميُّزُ أفعالِ الله عن الأصنام، وإبطالُ شُبهةِ ألوهيَّتِهم

غرضُ التَّعبيرِ بلفظ الرُّبوبيّة مضافًا إلى ضمير المُخاطب:

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ معناه: ذلِكُمُ المخصوصُ بالأفعال المُقتضية للألوهيَّة والرّبوبيّة[2]. و"لذلك قال: ﴿رَبُّكُمۡ﴾؛ أي: المربّي لكم، والمحسِنُ إليكم بقدرته واختياره، المتفرِّدُ بربوبيَّتكم، لا ربَّ لكم سِواه"[3].

الله تعالى محسنٌ إلى عباده بربوبيَّته

بلاغة التَّرقّي في سردِ الأخبار:

أخبَرَ عن اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ بأربعةِ أخبار: ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ ابتُدئ فيها بـ﴿ٱللَّهُ﴾ الاسمِ الجامع لصفات الألوهيَّة إجمالًا، وأُردف بـ﴿رَبُّكُمۡ﴾؛ أي: الَّذي دبّر خلق النّاس وهيّأ لهم ما به قِوامُ حياتهم، ولمّا كان في معنى الرّبوبيّة مِن معنى الخلق ما هو خلقٌ خاصٌّ بالبشر أردَفَ بأنَّه خالقُ الأشياءِ كلّها كما خلَقَهم، ثمَّ أردَفَ بنفي الألوهيَّة عن غيره، فجاءَتْ مضامينُ هذه الأخبارِ الأربعة مترتِّبةً بطريقةِ التَّرقّي، وكان رابعُها نتيجةً لها[4].

كلُّ ما في الكونِ دالٌّ على وحدانيَّة الله

نكتةُ التّعبيرِ بـ﴿خَٰلِقُ﴾ اسمَ فاعلٍ:

ورد التّعبيرُ بـ﴿خَٰلِقُ﴾ في قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، وهو اسمُ فاعلٍ من الجذر الثّلاثيّ (خَلَقَ)، يدلُّ على مَن يقوم بالفعل، أو يُحدث الخلق، وهو يطابقُ مفهومَ الإبداع أو الإيجاد. فاللّه تعالى هو الَّذي يُبدع الشّيءَ مِن العدم.

إبداعُ الله في الخلق وتأثيرُه على الإنسان

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 17/ 102، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 187.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 62.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 187.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 187.

وهذه الدّلالةُ تتفرّدُ عند الإشارة إلى الله تعالى باعتباره الخالقَ الأوَّل الَّذي خلق كلّ شيء وقدّر كلّ شيء، ويمكن أن تأتيَ كلمة ﴿خَٰلِقُ﴾ للإشارة إلى كلّ من يبدع شيئًا أو يساهم في خلق شيءٍ ما، قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون: 14]. ولكنّ قولُه تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ دلَّ على أصلِ خَلْقِ كلّ شيء ومادَّته، ولولا خلقُ الله لَما تمكَّن الإنسانُ من الحياةِ والتّرفُّهِ والخلق والإبداع، فالله تعالى خلَقَ العناصر الأوّليَّة لكلِّ مخلوق، فهو خالقُ المادّة بعناصرها الأوَّليَّة، أمّا الإنسان فقد منَحَهُ الله بما آتاه من العقل والقدرة على التّفكير والابتكار أنْ يتدخَّلَ بإعادة تشكيلِ تلك العناصر والمخلوقات؛ ليقفَ على نتائجَ إيجابيَّةٍ في التّصنيع والإبداع، فهو لا يخرج في خلقه للأشياء عن حيِّزِ التّعامل والارتكاز إلى مخلوقات الله نفسها، ولولاها لاستحال على الإنسان إيجادُ شيء من العدم.

ولقيام الدَّليل العقليِّ على أنْ لا خالقَ غيرُ الله تعيَّنَ تأويل ما عارضه، فيُؤوَّلُ الخَلْقُ هُنا[1] بالتَّصنيع من العناصر الأوَّليَّةِ من الجماداتِ والمعدّات الحياتيّة.

التعبير بـ (خالق) يُظهر الفاعليَّة والقدرة الإبداعيَّة

والتَّعبيرُ بـ﴿خَٰلِقُ﴾ يتمتّعُ بنكهةٍ بلاغيَّةٍ خاصَّةٍ عند استعماله في قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ مُتجاوِزًا الأزمنةَ كلَّها؛ فقَوْله: ﴿خَٰلِقُ﴾ أعمّ وأجْمع؛ لأنَّهُ يشْتَمل على ما مضى وما يحدث مِمّا هوَ كائن، ويدلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ [الأنعام: 102][2]، فيُعزِّزُ مفهومَ إحاطته سبحانه بالموجوداتِ الكونيَّةِ كلِّها، ويُظهرُ الفاعليَّة والقدرةَ الإبداعيَّة.

بيانُ نوعِ الإضافة في قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾:

الإحاطةُ الإلهيَّةُ سِمَةُ الخالقِ وحدَه

الإضافة: نِسبةُ اسمٍ إلى اسمٍ آخرَ وإسناده إليه، والإضافةُ في قوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾؛ إضافةٌ غيرُ محضةٍ؛ لأنَّه أضافَ

(1) السّيوطي، الإتقان: 3/ 100.

(2) أبو زرعة، حجة القراءات: 1/ 503.

اسم الفاعل ﴿خَٰلِقُ﴾ إلى معمولِهِ ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾؛ فيكون اسمُ الفاعل مضافًا بنفسِه على قولٍ لا بتقدير حرفٍ[1]. فاللّٰه تعالى هو خالق كلِّ شيء، وليس التَّقدير: خالقٌ لكلِّ شيء، ويكون ﴿خَٰلِقُ﴾ نكرةً بنفسه، معرفةً بمعموله، فعُلم بقوله: ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾ أنّه اللّٰه ﷻ.

نكتةُ دخولِ لفظِ العموم ﴿كُلِّ﴾:

دلَّ لفظُ العموم في قوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ على أنّه سبحانه أوجَدَ كلَّ شيء من العدم، وخلق النّاس وأعطاهم قدرةَ الإبداع، فتميَّزوا عن سائر الأحياء بقدراتهم على التّطوير والإبداع والتّخليقِ، لا مِن العدم، بل ممّا خلق اللّٰه تعالى.

تمييزُ الإنسانِ بالخَلْقِ مِن حِكَمِ الخالق الحقّ

بيانُ المتشابِهِ اللَّفظيِّ مع سورة الأنعام:

قدَّمَ في سورة الأنعام ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ على قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، وقدَّم في سورة غافر ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ على قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾؛ لأنّ ما في سورة الأنعام جاءَ بعدَ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتَۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠﴾ [الأنعام: 100]، فلما قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ أتى بعده بما يدفع قولَ مَن جعَلَ للّٰهِ شريكًا، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾، ثم قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾؛ فعالجَتِ الآيةُ قضيَّةَ الإشراكِ أوَّلًا، ثم ذكرتْ دليلَ قدرته سبحانه في الخلق. وفي سورة غافر جاء هذا بعد قوله تعالى: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [غافر: 57]، وسُبقت كذلك بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾، فكان الكلام على خلقِ السّموات والأرض وخلقِ الإنسان، وجَعْلِ السُّنن الكونيّة الضّامنة لديمومةِ الحياة، لا على نفيِ الشّريك عنه كما كان في آية الأنعام، فناسَبَ

تقديمُ لفظِ ﴿خَٰلِقُ﴾ يناسبُ خلقَ الموجودات، وجعلَ السُّنَنِ الكونيّة الضّامنة لديمومةِ الحياة

(1) الرّضيّ، شرح الرّضيّ: 1/ 297.

أن يقدِّمَ قولَه: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ على قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾[1]؛ أي: "لمّا كان الكلام في سياق الامتنانِ بالنِّعم للدَّلالةِ على السّاعة الَّتي ينكرونها ويجادلون في أمرها قدم الخلقَ على التّهليل"[2].

نكتةُ تنكيرِ ﴿شَيۡءٖ﴾:

شمولُ الخلق لجميع الموجودات صورةٌ للتَّفرُّد

تنكيرُ ﴿شَيۡءٖ﴾ في قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ لنكتةِ التّعميم[3]، والشّيء: هو ما صحَّ أن يُعلَمَ ويُخبَرَ عنه. وعند كثير من المتكلِّمين: اسمٌ مُشترَكُ المعنى، ويقع على الموجود والمعدوم. وعندَ بعضِهم عبارةٌ عن الموجود. وأصله: مصدرُ شاء. والعمومُ المأخوذ من ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يشملُ أيَّ مخلوقٍ يمكنُ أن يخطرَ للإنسان وللعقل البشريّ أن يتجوّل بين مخلوقات الله ﷻ، الَّتي يمكنُه أن يتصوَّرَها لتصلُحَ مثالًا لوقوع فعل الخلق عليه، وليكونَ أُنموذَجًا لصنعة الله وإبداعه[4].

نكتةُ فصلِ كلمة التّوحيد:

العمومُ في ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ مُنطَلَقُ الاستدلالِ على وحدانيَّة الله وإبداعه

جملةُ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ فُصِلَتْ عن سابقتها؛ لأنّ الجملةَ الَّتي سبقتْها خبر عن وحدانيَّة الله في الخلق والتّقدير، فجاء الخبرُ في كلمة التّوحيد ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ مؤكِّدًا؛ ليبيّن سرّ الوحدانيّة في خلقِ كلِّ شيء والقيّوميَّةِ عليه. وذكر البيضاويُّ أنَّ ﴿خَٰلِقُ﴾ قُرئ بالنَّصبِ على الاختصاص، فيكون ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ استئنافًا بما هو كالنَّتيجة للأوصاف المذكورة[5].

بلاغةُ (القصرِ) ونوعُه وغرضُه في كلمة التّوحيد:

تخصيصُ الله بالعبادة والطّاعة ونفيُ الإشراك بالله

قصرُ الألوهيّة على الله سبحانه في قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ من قبيلِ قصر الصّفة على الموصوف، وتختصُّ به فلا يتَّصف بها غيره،

(1) الخطيب الإسكافي، درة التّنزيل: 1/ 167.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 17/ 102 - 103.
(3) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 3/ 363.
(4) القيعي، مباحث في التّفسير الموضوعي، ص: 122، 149.
(5) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 5/ 62.

فهو قصرٌ حقيقيٌّ، فيختصُّ المقصورُ بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع، بألّا يتعدّاه إلى غيره أصلًا. والغرضُ من كلمة التّوحيد بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ حصرُ الألوهيَّة على الله سبحانه، فلا إله إلّا هو؛ وهو الإلهُ الأوحد المستحِقُّ للعبادة، مع نفي أيِّ شريك له فيها، فإنَّ كونَهُ خالقَ كلِّ شيء يَقتضي تخصيصَهُ بالعبادة والطّاعة.

معنى ﴿لَآ﴾ وتنكيرُ اسمِها ﴿إِلَٰهَ﴾:

قولُه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ ﴿لَآ﴾ فيه نافيةٌ للجنس؛ واسمُها ﴿إِلَٰهَ﴾، وخبرُها محذوفٌ تقديره: (موجود)، ونفيُ جنس الألوهيَّة عن الموجوداتِ أدلُّ على العموم وأقوى من النّفي العام. ورسَّخَ تنكيرُ لفظ ﴿إِلَٰهَ﴾ معنى العموم؛ أي: عموم الآلهة الَّتي تُعبد من دون الله، فنفاها مُطلقًا عن حقّ الألوهيّة، فلا إله موجود إلّا هو سبحانه.

نفيُ كلِّ آلهةٍ سوى الله تأكيدٌ للتّوحيد

نوعُ الاستثناء في قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾:

الاستثناءُ في قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ متّصلٌ على القولِ الرّاجح، وبما أنَّ الكلامَ تامٌّ غيرُ موجَبٍ ففيه إعرابان: النّصبُ على الاستثناء والإتباعُ على البدليّة، واختير هنا الثّاني، وعليه فـ﴿إِلَّا﴾ أداةُ حصرٍ، و﴿هُوَ﴾ ضميرُ رفعٍ منفصلٌ في محلِّ رفعٍ بدلٌ من محلِّ ﴿لَآ﴾ واسمِها، أو من الضّمير المستتر في خبرها المحذوف بتقدير (موجود)؛ بمعنى: لا إله موجودٌ إلّا الله.

اتّصالُ الاستثناءِ دليلُ حصرِ الألوهيَّة به سبحانه

نكتةُ التّعبير بضمير الغائب ﴿هُوَ﴾:

قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ عبّر فيه بضميرِ الغائب ﴿هُوَ﴾ منسجمًا مع السّياق؛ إذ بدأ بقوله: ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ فصرَّح بلفظ الجلالة؛ فاقتضى النّظمُ هنا التّعبيرَ بضمير الغائب ﴿هُوَ﴾.

انسجامُ السّياق والتّأكيدُ على التّوحيد

معنى الفاء في قوله: ﴿فَأَنَّىٰ﴾:

قولُه: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فُرِّعَ عن جملة الأخبار المتقدِّمة، وهو استفهامٌ تعجيبيٌّ من انصرافهم عن عبادته إلى جانب عبادةِ غيره،

ترتيبُ الكلام على فسادِ الإعراض عن عبادة الله

مع وضوح فساد إعراضهم عن عبادته[1]. وفائدةُ فاء التّفريعِ أنَّ الكلام بعدها مترتِّبٌ على الكلام الَّذي قبلها.

معنى (أنّى) وموقعُها الإعرابيّ:

التّعجيبُ من إعراضِ الكافرين وانصرافِهم عن الحقّ

السّياقُ الَّذي جاءت فيه كلمة (أنّى) في قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ يدلُّ على أنَّها بمعنى كيف، ففي سياق الآية ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾، والمعنى: كيف تكفرون وقد جاءكم البيّنات والهدى من عند اللّه؟! فمَن آمن بالمسائل العلميَّة الَّتي ذُكرت في الآيات السّابقة؛ من خلقِ الكون والإنسان، وتقديرِ السُّنن الكونيّة كاللّيل والنّهار فعليه أن يؤمنَ باللّه سبحانه؛ الخالقِ لكلِّ شيءٍ، فما قدَّمَتْهُ الآياتُ الكريمة هو نماذجُ محدودةٌ من كلّ شيءٍ موجودٍ في هذا الكون وهذه الحياة.

انصرافُ النّاس عن اللّه علّةُ الإنكار والتّوبيخ

وأصلُ الاستفهام بـ(أنّى) عن المكان، فإذا جعلوا الحالة في معنى الجانب ومثار الشَّيء استفهموا بـ (أنّى) عن الحالة، ويشعر بذلك قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾ [الأنعام: 101][2]. وهو استفهامٌ إنكاريٌّ خرج لمعنى التّوبيخ؛ إذ أنكر على النّاس أن يكونَ حالٌ ينصرفون إليه عن اللّه، أو بعيدًا عن هيمنة اللّه تعالى.

دلالةُ التّعبيرِ ﴿تُؤۡفَكُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

توبيخٌ إلهيٌّ على انصرافهم عن عبادة اللّه إلى عبادة الأوثان

قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ معناه: فكيف ومِن أيِّ وجهٍ تُصرَفون بأقبح الكذب عن عبادته إلى عبادة الأوثان وقد استنارت جميعُ الجهات؟! والبناءُ للمجهول للإجمال بسبب إعراضهم[3]. و﴿تُؤۡفَكُونَ﴾ معناه: تصرفون على طريق النّظر والهدى، وهذا تقريرٌ بمعنى التّوبيخ والتّقريع[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 187.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 187.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 176، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 187.
(4) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 4/ 567.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»